

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأُمَّيَّةُ الْحَضَارِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، رَفَعَ مَقَامَ الْعِلْمِ وَأَعْلَى رُتْبَةَ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَكْرَمَ الْإِنْسَانَ، فَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَجَعَلَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْجَنَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، نُورَ الْأَكْوَانِ، وَمِشْعَلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ. **أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ، فَمَنْ اتَّقَاهُ نَالَ الْخَيْرَ الْعَمِيمَ، وَسَلَكَ الْمَسْلَكَ الْمُوَصِّلَ إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).** عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَكُونَ أَنْمُودَجَ الْحَضَارَةِ، وَمَدَارَ الْعِلْمِ وَالنَّقْدَمِ؛ فَكَانَ أَوَّلُ مَا خَاطَبَهَا بِهِ ﴿أَقْرَأ﴾ (٢)، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَقِفُ عِنْدَ تَعَلُّمِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ رِسَالَةَ عَظِيمَةً، بَلْ رَسَائِلَ؛ فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَكَأَنِّي بِهِ يَدْعُو تِلْكَ الْأُمَّةَ الْأُمَّيَّةَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ عُرْلَتِهَا، وَيَدْفَعُ بِهَا إِلَى كَسْرِ حَاجِزِ الْإِنْطِوَاءِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَمَرَتْ بِهَا تَسْتَلْزِمُ الْإِطْلَاعَ عَلَى مَا عِنْدَ الْآخَرِينَ، وَتَتَدَبُّ إِلَى رُؤْيَةِ الْعَالَمِ وَالنَّظَرِ فِي هَذَا الْكُونِ الْفَسِيحِ، عِنْدَ ذَلِكَ تَتَّسِعُ الرُّؤْيَةُ، وَيُذْرِكُ الْإِنْسَانَ أَنَّ الْعَالَمَ لَيْسَ الْمُحِيطَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، بَلْ هُوَ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ؛ فَيَرَى حَقَّ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣)، وَيُذْرِكُ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ مُرَادَ خِطَابِ اللَّهِ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ (٤).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ سَبَقَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى أَنْوَاعِ الْأُمَّيَّةِ، فَإِنَّ هُنَاكَ أُمَّيَّةَ مَقِيَّتَةً، قَدْ يَغْفُلُ عَنْهَا

(١) سورة البقرة / ٢٨٢.

(٢) سورة العلق / ١.

(٣) سورة يونس / ١٠١.

(٤) سورة النمل / ٦٩.



طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَعَمْرِي إِنَّ تِلْكَ الْأُمِّيَّةَ أَصْلُ الْمُشْكِلَاتِ، وَبَابُ الْمَصَائِبِ وَالْمُعْضَلَاتِ؛ فَإِنَّ وُجُودَهَا يُمِيتُ الْقِيَمَ، وَيَمْحُو الْأَخْلَاقَ، وَيَطْمِسُ الْفِطْرَةَ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ مِنَ الْأُمِّيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حَذَّرَ مِنْهَا الْقُرْآنُ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ التَّحْذِيرُ تَحْذِيرًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَدَعْوَةً لَهَا إِلَى الْإِبْتِعَادِ عَنْهَا؛ فَلَنَسْمَعْ إِذَنْ تَحْذِيرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَنُصْغِ تَمَامَ الْإِضْغَاءِ إِلَى الذِّكْرِ الْحَكِيمِ؛ فَإِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(١)، نَعَمْ، هَذِهِ هِيَ الْأُمِّيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ فَتَجِدُ الْمُتَلَبِّسَ بِهَا زَادَهُ الظَّنُّ، وَبِضَاعَتَهُ الْأَمَانِيَّ، وَالْحَرِيَّ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِلْمَ مِنْ مَصَادِرِهِ الْأَصِيلَةِ، وَلَا يَقِفَ طَلْبُهُ لَهُ عِنْدَ حَدٍّ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَحَسْبُنَا تَوْجِيهُ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ ﴿وَقَدْ رَبَّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢)، فَإِنَّ فِيهِ دَلَالَةً ظَاهِرَةً عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ مَا يُسْتَرَادُّ مِنْهُ، وَأَشْرَفُ مَا يُتَّقَرَّبُ بِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

اسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٣)، فَإِذَا مَا رَجَعْنَا الْبَصَرَ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ كَرَّتَيْنِ، وَرَدَدْنَا الْبَصِيرَةَ إِلَيْهَا مَرَّتَيْنِ، وَجَدْنَا أَنَّ فِيهَا إِشَارَةً إِلَى مَا يُعْرَفُ بِالْأُمِّيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْأُمِّيَّةُ الْحَضَارِيَّةُ! فَإِنَّهَا مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْأُمِّيَّةِ يَلْبَسُ لِبَاسَ الْعَالَمِينَ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ الْجَاهِلِينَ! وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يُرِيدُهُ الْإِسْلَامُ؛ فَإِنَّ مِقْيَاسَ الْإِسْلَامِ لِلْعِلْمِ مِقْيَاسٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ؛ فَقَدْ سَبَقَ الْإِسْلَامُ إِلَى قِيَاسِ الْمَعْرِفَةِ بِمَقْدَارِ مَا يَكُونُ مِنْهَا مِنْ نَفْعٍ لِلْإِنْسَانِ نَفْسِهِ وَلِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، تَبَيَّنَتْ لَهُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ، وَوَضَحَتْ لَهُ تِلْكَ الطَّرِيقَةُ؛ فَإِنَّ صَدْرَ الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ مَا تُشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الرُّوحِ؛ فَتَجْعَلُ صَاحِبَهُ مُسْتَقِيمًا فِي سُلُوكِهِ، مُنْضَبِطًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، نَافِعًا لِمُجْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ،

(١) سورة البقرة/ ٧٨.

(٢) سورة طه/ ١١٤.

(٣) سورة البقرة/ ٧٨.

(٤) سورة الزمر/ ٩.



فَاسْمَعُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - صَدَرَ الْآيَةِ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُتْ عَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (١)، فَالرَّجَاءُ جَعَلَهُ مُسَارِعًا فِي الْخَيْرَاتِ، وَالْخَوْفُ جَعَلَهُ حَذِرًا مِنَ الْمُخَالَفَاتِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مِنْ أَوْلِي الْأَلْبَابِ، وَمَا أَعْظَمَ خَاتِمَةَ الْآيَةِ! ﴿ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتَكُمْ لَمْ يَكُنْ لَهَا انْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَّا بِنَفْيِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْأُمَّيَّةِ عَنْهَا؛ فَارْتَقَتْ إِلَى رَفِيعِ الْمَقَامَاتِ، وَبَلَغَتْ غَايَةَ الْعَايَاتِ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهَا طَيِّبَةً، وَعَاقِبَتُهَا حَسَنَةً، وَلَا عَجَبَ؛ فَإِنَّ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنَ الْأُمَّيَّةِ الَّتِي حَارَبَهَا الْإِسْلَامُ عَدَمَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، وَتِلْكَ الْأُمَّيَّةُ صُورَةٌ مِنْ صُورٍ مَا يُعْرَفُ بِالْأُمَّيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، فَهَلْ مِنَ التَّحْضُرِ فِي شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ آلَهُ لِعَدَمِ الْحِفَاطِ عَلَى الْمُنْجَزَاتِ؛ فَتَجِدُهُ يُخَرَّبُ هَذَا، وَيُهْمَلُ ذَلِكَ، وَيَسْتَعْمَلُ شَيْئًا آخَرَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ الصَّحِيحِ، وَفِي نَفْسِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَخْصُهُ وَحْدَهُ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ عَامٌّ، وَقَدْ تَنَاسَى أَنَّ الْعَامَّ مَسْئُولِيَّتُهُ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي يَخْصُهُ، وَمِنْ مَظَاهِرِ صُورِ هَذِهِ الْأُمَّيَّةِ تِلْكَ الصُّورَةُ الَّتِي صَارَتْ تَتَكَرَّرُ، وَنَرَاهَا بَعْدَ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ تَكُونُ فِيهَا رِحَالَاتٌ، فَتَرَى شَاطِئًا أَذْهَبَتْ بِهَاؤُهُ الْمُخَلَّفَاتُ، وَقَطَّبَتْ جَبِينَهُ بِقَايَا الطَّعَامِ وَالْقَمَامَاتُ، وَتَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ

(١) سورة الزمر/ ٩.

(٢) سورة الرعد/ ١٩.

(٣) سورة النحل/ ٩٧.



فِي الصَّحْرَاءِ وَفِي كُتُبَانِ الرِّمَالِ، وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الْبَقَايَا وَالْمُخْلَفَاتُ سَبَبًا لِلِإِضْرَارِ بِالْإِنْسَانِ، وَسَبِيلًا إِلَى هَلَاكِ نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانٍ، وَتَزْدَادُ عَجَبًا إِذَا مَا رَأَيْتِ أَحَدًا يَزِمِي بِزُجَاجَةٍ مِنْ نَافِذَةِ السَّيَّارَةِ فَنَقُولُ: أَيْنَ قَلْبُهُ النَّابِضُ وَضَمِيرُهُ الْحَيُّ؟! وَمَا أَكْثَرَ صُورَ الْأُمِّيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي هِيَ إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ نَهَى عَنْهُ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وَإِنَّ مِنْ صُورِ التَّحَضُّرِ وَالرُّقْيِ تِلْكَ النُّفُوسَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تَعْمَلُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَتُحَافِظُ عَلَى الْمُنْجِرَاتِ، وَتَتَعَهَّدُ نِظَافَةَ الْمَكَانِ، وَتُحَافِظُ عَلَى جَمَالِهِ؛ فَكَانُوا مِمَّنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا، وَصَارُوا مِمَّنْ أَمَاطَ الْأَذَى فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ صَدَقَةً ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم رَّبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارِضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنِ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَانْحَسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

(١) سورة الأعراف/ ٥٦.

(٢) سورة الجاثية/ ١٥.

(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦.



اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، واحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

